إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

«صلبوه»

(١٩: ١-٤٢)

تأليف: بروس مكلارتي

ما هي أعظم قصة حب في تاريخ البشرية؟ قد يعتقد البعض انها قصة اسطورية رائعة للأطفال. أو أفلام رومانسية رائعة.

أو عندما تفكر في قصص المحبة ربما تأتي بذاكرتك محبة الوالدين للطفل. يحكى في كوريا عن أم قروية ألمت بها عاصفة شتاء قارص هي وطفلها الصغير. وفي محاولة غير باعثة على الكثير من الأمل لانقاذ حياة طفلها، خلعت ملابسها المدفئة ولفتها حول طفلها. وفي الصباح التالي، تم العثور على جثتها وكانت متجمدة. ومن بين حزمة ملابسها بجانبها سُمع صوت بكاء طفلها، وكان سليماً معافياً. عندما كبر الولد كان يُحكى له عن محبة أمه وتضحيتها له. وفي إحدى أيام الشتاء البارد شاهدوه عند قبر أمه وقد خلع معطفه وقميصه. وكان يبكي متسائلاً: «أهكذا يا أماه شعرتِ بالبرد من أجلي؟»

ان قصصَ مثل هذه تجعلنا نحس في قلوبنا بانها اظهار عظيمة للمحبة. ولكن أعظم قصة محبة في كل الزمان تأتي من الأصحاح ١٩ من إنجيل يوحنا. وهي قصة عن مقدار محبة إلهنا لنا؛ انها قصة الصليب.

الصليب هو قصة حب

الحديث عن الصليب كقصة حب ليس بشيء جديد. لقد أشار يوحنا عدة مرات إلى ان الصليب كان قمة اظهار محبة الله، إذ كتب:

> «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (٣: ١٦).

> «أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى...» (١٣: ١).

> «هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم. ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (١٥: ١٢ و١٣).

قد تكون هناك عدة اسباب للصليب. ولكن التشديد الوحيد في إنجيل يوحنا هو ان الصليب كان قمة اظهار محبة الله.

بعد محاكمة يسوع أمام حنان وقيافا وبيلاطس، أُسلم يسوع لليهود لكي يصلبوه. مع أن الصليب هو حجر الزاوية للإيمان المسيحي، إلا ان الحدث الحقيقي تم تسجيله بكلمات قليلة فقط:

> «... فأخذوا يسوع ومضوا به. فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع في الوسط» (١٩: ١٧-١٨).

لم يعطي أي من كُتَّاب الأناجيل الأربعة تفاصيل دقيقة عن صلب يسوع. العبارة: «حيث صلبوه» هي من كلمتين بسيطتين ولكن بهما معاني عظيمة. من يؤمن بان يسوع هو ابن الله لا يقرأها دون ان يتأثر جداً. هكذا كانت قوة تعبير يوحنا «حيث صلبوه».

بعد ذلك أخبرنا يوحنا كيف أوصى بيلاطس بان يوضع لافتة فوق رأس يسوع. وكان مكتوباً

عليها: «يسوع الناصري ملك اليهود» (١٩: ١٩). كانت تلك اللافتة العجيبة مكتوبة باللغة العبرانية (وهي لغة اليهود)، واللاتينية (لغة الرومان)، واليونانية (لغة التجارة العامة في تلك الأيام). طبعاً كان ذلك إساءة كبيرة لرؤساء الكهنة المسؤولين عن موت يسوع. أرادوا أن تُكتب على اللافتة الكلمات التالية «ذاك قال: أنا ملك اليهود» وأما بيلاطس فلسبب أو لأخر قال: «ما كتبته فقد كتبه» (١٩: ٢٢).

اللافتة الموضوعة على الصليب هي مثال آخر لشخص في إنجيل يوحنا قال أكثر مما كان يعرف. لقد رأينا هذا في وقت سابق عندما قال قيافا لمجلس اليهود الحاكم: «أنتم لا تعرفون شيئاً! ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها» (١١: ٤٩ و٥٠). واستمر يوحنا ليشرح:

> «ولم يقل هذا من نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة. وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد» (١١: ٥١ و٥٢).

هكذا أيضاً تكلم بيلاطس بحقائق اعظم عمقاً بكثير عما كان يدركه عندما أمر بوضع لافتة فوق رأس يسوع وهو على الصليب.

كان للجند الذين نفذوا الأمر بصلب يسوع مهمة شنيعة ومضجرة للقيام بها. عندما يتم وضع الإنسان على الصليب ويُرفع الصليب قائماً، لم يبقى هناك شيئاً للقيام به بل الانتظار حتى يموت الشخص. ولكي يقضوا الوقت ويحصلوا على مزيد من النقود يقسمون ثياب الشخص الذي يصلبونه. هكذا فعلوا بثياب يسوع إذ قسموها إلى أربعة أقسام {لكل عسكري قسماً} وألقوا القرعة ليروا من الذي يحصل على قميصه الذي كان بغير خياطة.

لم يكن الصلب مجرد وسيلة لتنفيذ حكم الاعدام فقط، بل كان وسيلة إذلال وعار إلى أبعد حد. وكانت عملية الصلب تتم عادة في مكان عام حيث يمر الكثير من الناس ويروا المشهد المثير للاشمئزاز. كان هدف الرومان من القيام بهذا هو الحاق العار بالشخص الذي يتم اعدامه وبالدعوى أو بالجريمة التي كان يموت بسببها. لم يُصلب المواطنين الرومان، بل كان هذا النوع من الاعدام مخصص للعبيد والأجانب وذوي المنزلة الدنيئة. وكانوا يُصلبون عراء عادة وتُترك أجسادهم على الصليب لتنتن لمدة أسابيع، وبهذا يكون المشهد أكثر اشمئزازاً ومنفراً. عندما كتب يوحنا بان الجنود اقتسموا ثياب يسوع بينهم يذكرنا بذلك عن الإذلال المخزي الذي كان يهدف إليه الصلب – الإذال الذي احتمله يسوع من أجلنا جميعنا!

بعد هذا يحول إنجيل يوحنا الانتباه إلى النساء اللواتي كن واقفات عند الصليب. كانت إحداهن مريم أم يسوع. من الصعب تصور الألم في قلب الأُم عندما تشاهد ابنها يموت بهذه الطريقة. ولكن حتى في آلامه كان يسوع قادراً على تلبية حاجات أُمه. بما انه يبدو ان يوسف قد مات، كان يسوع يعلم بان مريم ستواجه أوقات صعبة للاعتناء بنفسها بعد موته. وعندما نظر يسوع من على الصليب، رأى «التلميذ الذي كان يحبه» (يبدو بان ذلك التلميذ كان هو يوحنا) وقال لأُمه: «يا امرأة هوذا ابنك!» (١٩: ٢٦). ثم قال ليوحنا التلميذ الذي كان يحبه: «هوذا أُمك» (١٩: ٢٧). وعرف كلاهما ما كان يعنيه يسوع؛ كان على يوحنا أن يكون المسؤول عن مريم كما لو كانت أُمه، ومن ذلك اليوم أخذها يوحنا إلى بيته.

حتى كلمات يسوع لمريم ويوحنا تشير إلى شدة محبة يسوع وطهارتها. تجعلنا الآلام أنانيين. عندما نشعر بالآلم يكون من الصعب ان نفكر بشخص آخر أو بشيء آخر. هذه الحقيقة تجعل يسوع فريد من نوعه إذ لبى احتياجات أُمه بينما كان يموت على الصليب.

بعد هذه الأحداث انتهت قصة الصليب سريعاً. علم يسوع بانه قد أنهى مهمته. ثم قال: «أنا عطشان» (١٩: ٢٨)، فأعطاه شخص ما خلا بإسفنجة. هنا نرى مرة أخرى كما قد رأينا عدة مرات في هذا الإنجيل التوكيد على إنسانية يسوع. كان يعرف الشعور بالجوع

والانهاك (٤: ٦)، وأن يفيض قلبه بالأسى الشديد وينزعج بالروح (١١: ٣٣). يعرف يسوع إنسانيتنا تماماً، وقد أظهر ذلك قبل وقت قصير من موته عندما قال: «أنا عطشان».

ثم نطق يسوع بكلماته الأخيرة على الصليب {كما ورد في إنجيل يوحنا}: «قد أكمل!» (١٩: ٣٠)، «ونكس رأسه وأسلم الروح». لقد تابع خطة حياته وتممها أخيراً. لم يكن موته حادث مفاجيء، ولم يخطف أحد حياته منه. لقد أسلم حياته حسب خطة الله لمغفرة خطايانا!

الصليب كدعوة لصنع قرار

ماذا نفعل بقصة موت يسوع على الصليب؟ هل يجب ان نشعر بأسف؟ أم نفرح؟ هل يجب ان نفعل أي شيء؟

لقد تم دعوتنا من خلال إنجيل يوحنا لندخل الرواية بينما كان الناس يشاهدون ويستمعون إلى يسوع ويتعاملون معه. لم يقصد بذلك أن تكون روايتهم فقط، بل هي روايتنا أيضاً. هذا الإنجيل ليس فقط عن إيمانهم بيسوع، بل هو عن إيماننا أيضاً. يذكرنا يوحنا بهذا سريعاً بعد ما كتب عن موت يسوع: «والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» (١٩: ٣٥). نرى مرة أخرى مسألة الإيمان. لقد سرد لنا يوحنا رواية بطرس وبيلاطس كمثالين للذين يلينون تحت الضغوط. وفي تباين مع ذلك، أعطانا مثالين أخرين عن الذين كانت لهم الجراءة ليعترفوا بإيمانهم بيسوع بعد موته مباشرة.

كان يوسف الذي من الرامة تلميذ يسوع، ولكنه كان تلميذاً في الخفاء لأنه كان يخاف من قادة اليهود. وعندما مات يسوع، ذهب يوسف إلى بيلاطس وطلب جسده لكي يدفنه. طبعاً لم يكن هذا عمل «سري» من قبل شخص كان يخاف ان يوصف بانه من أتباع يسوع![1]

لم يكن زميل يوسف في العمل الجريء لدفن جسد يسوع شخص آخر غير نيقوديموس «الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً» (١٩: ٣٩). وقد شاهدناه في الأصحاح الثالث عندما تحدث يسوع عن الولادة الجديدة. ورأيناه أيضاً في ٧: ٥٠-٥٢، وكان إيمانه لا يزال في الخفاء. ولكن نراه في أظلم الساعات في تاريخ البشر، أي في الوقت ما بين موت يسوع وقيامته. وقد أظهر هنا إيمان حاسم وجريء. قام كل من يوسف ونيقوديموس بإعداد جسد يسوع للدفن ووضعاه في قبر.

الخلاصة

لم تحكى قصة يسوع لأجل التسلية. بل لخلق إيمان حي يغير الحياة في قلوب الذين يسمعونه. الصليب ليس بالشيء الذي نسمع عنه ومن ثم ننساه. بل يتطلب إستجابة. لا يمكن تجنب سؤال يوحنا؛ هل تبرز إيمانك لكي توصف مع الذي مات من أجلك؟ يسوع هو الذي مات من أجلك. ماذا تفعل بهذا؟

---

[1] يشير إنجيل مرقس ١٥: ٤٣ بان يوسف مشير شريف أي عضو محترم في المجلس الأعلى عند اليهود «تجاسر» وطلب من بيلاطس جسد يسوع.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧